بتاريخ 08 ذيقعده 1446
المواسعة و المضايقة

الجلسة 88

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينْ

تحشيد القرائن الوافرة تجاه نظريّة المواسعة

لازلنا نَتسايَر مع الشّواهد الّتي قد استَجمَعها صاحب الجواهر لتفوُّق روايات المواسعة على المضايقة فقد بَنى القرائن و المؤيّدات الأخرى قائلاً: [1]

«على أنّه مع ذلك كلّه ففي العمل بأخبار المواسعة مراعاة ما اشتهر بين الأصحاب ـ قولاً و عملاً ـ من أولويّة الجمع بين الدّليلين من الطّرح الّتي يمكن استنباطها من بعض الأخبار (فلو تمسَّكنا بأخبار المضايقة و استَعجلنا للفوائت لانطرحت أخبار المواسعة الصّريحة في عدم التّرتيب، بينما لو عَكسنا العمليّة و قدّمنا المواسعة لاحتُفِظت روايات الطّرفين إذ ستُحمل الفوريّة على الاستحباب، و أمّا الأخبار الدّالة على الجمع فكالتّالي:)

1. كقوله عليه السلام: «لا يكون الرّجل فقيهاً حتّى يَعرِفَ مَعاريضَ[2] كلامنا (الّتي تُعدّ ذاتَ محتَمَلات و وجوهٍ متفاوِتة) و إنّ الكلمة من كلامنا لَتنصرِف على سبعين وجهاً (بحيث يُعدّ كلُّها ظاهراً) لنا من جميعها المَخرَجُ (و اتّخاذها مراداً)»[3].

2. و «أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلماتنا، إنّ الكلمة لتنصرف على وجوه، فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء و لا يكذب»[4].

3. و «إنّا نتكلّم بالكلمة الواحدة لها سبعون وجهاً: إن شئتُ أخذت كذا، و إن شئت أخذت كذا»[5].

· و أمّا المستَهدَف من عبارة «إن شئتُ» أنّ لكلّ حَقلاً معنىً مُتَناسِب فدقِّق أنّ أيَّ معنى سيُلائم أيَّ مقام ثمّ خُذه، لا أنّ بإمكانك أن تفسِّر كيفما شئتَ، إذ هذا المعنى سيُناقِض مَراهم و سيُضادّ الوجدان بتّاً.

· و أمّا نكتة «الانصراف إلى سبعين وجهاً» فتُثمِر لدى مبحث «استعمال اللّفظ في معان عديدة بآنٍ واحد» حيث قد استَنتَجنا هناك بأنّه يَستحيل تجاه البشر العاجز الفاتِر و يُعقَل تماماً تجاه الاستعمالات القرآنيّة و الرّوائيّة إذ قد نالَت الشّرفَ الشّامخ بإشرافها التّامّ على عدّة معانٍ بنفس الآن رأساً فإنّه تعالى على كلّ شيئ قدير و قد أحاطَ بكلّ شيئ علماً[6] و قد أحصَينا عدداً وافراً من هذه النّماذج ضمن القرآن الكريم نظير لفظة: يَنبغي ـ فربما يَستهدف الاستحباب أو الوجوب أو... ـ و نظير الحرج و الفتنة و الزّينة و الإيمان ـ فربما الظّاهريّ أو القلبيّ أو... ـ فبالتّالي إنّ هذه اللّمعة الإجتهاديّة الجواهريّة ستَجلب النّكات كثيراً في علم «فقه الحديث و الدّراية» بحيث قد احتَجنا إلى استخراج قاعدة «الجمع مهما أمكن» لكي نُلفِّق بين مختلَف المعاني و الأوجُه القرآنيّة و الرّوائيّة، و إلّا لَما استَطعنا تحشيدَ هذه الوجوه و التّعريضات المنصَرِفة معاً في قالب معنى عرفيّ جامع أبداً.

· و نُفيض أيضاً إلى أنّ هذه الفِقرة ـ لتَنصرف إلى سبعين وَجهاً ـ ذاتُ احتمالَين:

1. أنّ كلمة واحدة قد استُعملَت ضمن سبعينَ معنى بنفس الحين، نظير الألفاظ المشتركة الّتي هي قليلة العدد.

2. بل الأظهر و الأوفَق أنّ تلك الكلمة قد استُعمِلَت سبعين مرّةً و في كلّ مرّة قد امتازَت بمعنى مختلف عن سابقه.

---

[1] صاحب جواهر محمدحسن بن باقر. 1421. جواهر الكلام (ط. الحديثة). Vol. 7. قم ـ ايران: مؤسسه دائرة المعارف فقه اسلامى بر مذهب اهل بيت (عليهم السلام).

[2] التعريض: خلاف التصريح، و هو الإيماء و التلويح و لا تبيين فيه. مجمع البحرين ٢١٢:٤.

[3] البحار ١٨٤:٢، ح ٥.

[4] الوسائل ١١٧:٢٧، ب ٩ من صفات القاضي، ح ٢٧.

[5] البحار ١٩٩:٢، ح ٥٨، و فيه: «إنّي لأتكلّم».

[6] سورة الطّلاق الآية 12.